القصص الديني

الحلقة الثالثة
قصص الخلفاء الراشدين

أبو بكر وخالد بن الوليد

عبد الحميد جودة السحار

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِين آمنُوا قَاتِلوا الَّذينَ يَلُونكم مِنَ الْكُفّار ، وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ، واعْلَموا أَنَّ اللَّهَ معَ الْمُتّقين ﴾ .

(قرآن كريم)

١

أمر أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ خالدَ بنَ الوليد ، أن يسيرَ إلى العراق ، وأن يتألّفَ النّاس ، ويدعُوَهم إلى الإسلام ، فإنْ أجابوا كان لهم ما للمسلمين ، وإلاّ أخذ منهمُ الْجزْية ، وهى مبلغٌ معيَّنٌ من المال يدفعهُ القادرون للمسلمين لِيَحْموهم ، ولا يُؤذوهم . ولا ظُلمَ فى ذلك ، المسلمونَ يدفعونَ الزّكاة ، والّذين يَبقونَ على دينهم يدفعونَ الْجزْية ، وبذلك يتساوى الفريقان ، اللّذان يعيشان فى دَوْلةٍ واحدة .

وسار خالدٌ بجيشِه حتى إذا بلغ الحِيرَة ، خرج إليه

أشرافُها ، فقال لهم :

ـ أَدعوكُم إلى اللّه وإلى الإسلام ، فإن أجبتُم إليه فأنتُم من المسلمين ، لكم ما لَهم ، وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتُم فالجِزْيَة ، فإن أبيتُم فقد أتيتُكم بأقوامٍ أحـرصُ على الموتِ منكم على الحياة ، وجاهدناكم حتى يحكمَ اللّهُ بيننـا وبينَكم .

والتفت خـالدٌ إلى أحدِهـم ، ليسأله مـن أيـن جـاء ، وعلى أيِّ دينٍ هو ، قال :

ـ من أينَ خرجت ؟

فقال الرجلُ في خبث :

ـ من بطنِ أمّى .

قال خالد :

ـ ويْحك ، على أى شيءٍ أنت ؟

ـ على الأرض .

ـ ويحَك ، وفى أيِّ شيءٍ أنت ؟

ـ فى ثيابى .

فضاق خالدٌ بخبثه وقال له :

ـ تعقِل ؟

ـ نعم .

ـ إنما أسألُك ؟

ـ وأنا أجيبُك .

ـ أسلِمٌ أنت أم حرب ؟

ـ بل سِلْم .

ـ فما هذه الحصونُ الّتي أرى ؟

ـ بنيناها للسّفيه نحبسُه ، حتّى يجيءَ الحليمُ فينهاه .

وتشاور أشرافُ القوم ، ثمَّ قالوا لخالد :

ـ ما لنا بحربك من حاجة ، بل نُقيم على ديننا ونُعطيك الجزية .

وصالحهم خالدٌ على تسعينَ ألفَ دِرْهم ، وَحُمِلَتِ الْجِزْيَةُ إلى المدينة ، ليُنْفِقَها أبو بكرٍ على المسلمين .

٢

جمع هُرْمِز ، نائبُ كِسْرَى ملكِ الفُرْس ، الّذى كـان يحكمُ العراق ، جُموعاً كثيرة ، وسارَ لِيُقاتلَ المسلمينَ الّذين جاءوا يَغْزون البلاد ، ونزل هُرْمِزُ ومن معه عند الماء ، ونزل خالدٌ والمسلمون تجاهَهم على غير ماء ، شكا أصحابُ خالدٍ ذلك ، فقال لهم خالد :

ـ جالِدوهمْ (قاتِلوهم) حتى تُجلُوهم عن الماء ، فإنّ اللّهَ جاعلٌ الماءَ لأصْبرِ الطائفتين .

وتقدَّم هُرْمِزُ على حِصانه ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُزدانةٌ بالجوهر ، كانتْ تُقدَّرُ بمائة ألفِ دِرْهم ـ ثمَّ نزل عن حصانِه وقال :

ـ هل من مُبارز ؟

فتقدَّم خالدٌ ، سيفُ اللّهِ المسلولُ لقتالِه . فضرب هُرْمِزُ خالداً ضربة ، اتّقاها بدِرْعِه ، ثمَّ هجمَ على هُرْمِزَ واحْتضَنه ، فلمَّا رأتْ حامية هُرْمِزَ أنَّ خالداً سيَقتُله ،

أرادتْ أن تهجُمَ علـى خـالد ، لتُخلّصَـه مـن يدِهِ ، ولكـنَّ خالداً لم يلتفتْ إليهم بل قتلَه ، وهجم المسلمون على الحاميةِ وقتلوها .

وبدأ القتالُ بين المسلمينَ والفُرْس ، فأخذ المسلمونَ يقتُلون أعداءَهم ، الَّذين كانوا مقيَّدينَ بعضُهم إلى بعضٍ بالسَّلاسل ، حتى لا يفِرُّوا ، وقتلوا منهم خلقـاً كثيراً ، وانهزم الفرسُ وفرّوا .

فراح خـالدٌ ومن معه يجمعونَ مـا تركـه الفارّون ، وكان شيئاً كثيرا ، وقد أخـذوا فيما أخـذوا فيلا كـان الفُرْسُ يستعملونَهُ فى القتال .

وقسَّم خالدٌ الغنائم ، وأرسل إلى أبى بكرٍ فى المدينةِ خُمْسَها ، ووزَّع البـاقىَ على الجنـود ، وقـد كـان فـى الْخُمْسِ قَلَنْسوَةُ هُرْمز التى تتألّقُ بالجوْهر .

عاد رسولُ خالدٍ إلى المدينة ، يحمـلُ خُمْسَ الغنـائم ، وكان معه الفيلُ الَّـذى استولى عليه المسلمون ، فلمّا دخل المدينة ، خرج النّسوةُ يَنْظُرْن إلى الفيل ، وجعلنَ يقُلْن :

المسلمون يقتُلونَ الفُرْسَ قتلاً ذريعا ، وانتصروا عليهم ، وغنِموا غنـائمَ كثيرة . ولما كـانت بلادُ العربِ بـلاداً مجدبة ، لا زرعَ فيها ولا ماء ، ولـمّا كـانتِ البلادُ التى يستولونَ عليها بلاداً خِصْبَـة ، قـام خـالدٌ فـى جيشـهِ وخطب ، فقال :

ـ ألا تروْنَ ما ها هنا من الأطعِمات ؟ وباللّـه لو لم يلزمْنا الجهادُ فى سبيل اللّه والدُّعاءُ إلى الإسلام ، ولم يكـنْ إلاّ المعاش ، لكان الرأىُ أنْ نقاتلَ على هذا الرّيف ، حتى نكـونَ أولى به .

٤

رجع أبو بكرٍ الصِّدّيقُ من الحجّ ، فجمع الجنودَ ليُرسِلَهم إلى الشام ، فلما اجتمع الناس ؛ أرسل جيشًا بقيادةِ خالدِ بـن سعيدِ بن العاص ، ثمَّ أرسلَ جيشًا بقيادةِ يزيدِ ابن أبى سُفيان وجعل وِجْهَتَهَ دِمَشق ، وأرسل جيشاً ثالثاً بقيـادة أبى عبيـدةَ ابن الجرّاح ، وجعل وِجْهَتَـهُ حِمْص ، وأرسـل جيشـاً رابعـاً بقيادَةِ عمرو بن العاص ، وجعل وِجهتَه فِلَسطين .

والمسلمونَ يجرون خلفَهُم يقتُلونهم . وانتهتْ موقعةُ اليرْموكِ بنصرٍ مُبينٍ للمسلمين ، قُتِلَ من الرُّوم مائةُ ألفٍ وعشرونَ ألفا ، وقُتِلَ من المسلمينَ ثلاثةُ آلاف . ولمّا أصبحَ الصباحُ وتمَّ النّصر ، رأى خالدُ بن الوليدِ أن يُخبرَ الناسَ بموتِ أبى بكرٍ الصِّديق ، فقام خطيبا وقال :

ـ الحمدُ للّه الّذى قضى على أبى بكر بالموت ، وكان أحبَّ إلىَّ من عُمَر ، والحمد اللّه الّذى ولّى عُمَر ، وكان أبغضَ إلىَّ من أبى بكر ، وألزمَنى حُبَّه .

وسارت الجيوشُ الإسلاميةُ لتفتحَ الشّام ، وقد صارَ أبو عبيدةَ قائداً للجُيوش ، وراح خالدٌ يحارب وهو جُنديٌّ عاديٌّ فى جيشِ المسلمين ؛ لم يغضَبْ لعزلِه ولم يَثُرْ ، فقد كان على يقينٍ أنّه يحاربُ فى سبيلِ الإسلام ، وأنّه سيفٌ من سيوفِ اللّه ، سلّه على المشركين .